

ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل إليهم ، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبي لجيج عن مجاهد ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وفي هذا نظر . وقال البهوي : قرأ يعقوب ﴿ليعلم﴾ بالضم أي ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا . ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل ، وهو قول حكاة ابن الجوزي في زاد المسير ، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله تعالى : ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ وكقوله تعالى ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة ، ولهذا قال بعد هذا ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ . آخر تفسير سورة الجن ، وله الحمد والمئة .

## سُورَةُ الْمِزْمَلِ

ترتيبها ٧٣

آياتها ٢٠

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار : حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي ، حدثنا معلى بن عبد الرحمن ، حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا : سموا هذا الرجل اسماً يصد الناس عنه ، فقالوا : كاهن . قالوا : ليس بكاهن . قالوا : مجنون . قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر ؛ فضرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال ﴿يا أيها المزمل﴾ ﴿يا أيها المدثر﴾ ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُلِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقِصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم يفتقون﴾ وكذلك كان ﷺ عمتلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل ، وقد كان واجباً عليه وحده كما قال تعالى : ﴿ومن الليل فتعجده به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى : ﴿يا أيها المزمل﴾ قم الليل إلا قليلاً ﴿قال ابن عباس والضحاك والسدي﴾ ﴿يا أيها المزمل﴾ يعني يا أيها النائم . وقال قتادة : المزمل في ثيابه . وقال إبراهيم النخعي : نزلت وهو متمزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ﴿يا أيها المزمل﴾ قال : يا محمد زملت القرآن وقوله تعالى : ﴿نصفه﴾ بدل من الليل ﴿أو انقص منه قليلاً﴾ أو زد عليه ﴿أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضي الله عنها : كان يقرأ السورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها .

وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت مداً ثم قرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ بمد بسم الله ومد الرحمن ومد الرحيم . وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : كان يقطع قراءته آية آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله رب العالمين ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ مالك يوم الدين ﴿ رواه أحمد وأبو داود والترمذي . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » و « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » و « لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود » يعني أبا موسى ، فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً : وعن ابن مسعود أنه قال : لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ، رواه البيهقي . وقال البخاري : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة : سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفضل الليلة في ركعة . فقال هذا كهذا الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن ، فذكر عشرين سورة من المفضل سوريتين في ركعة . وقوله تعالى ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً ﴾ قال الحسن وقتادة : أي العمل به وقيل : ثقیل وقت نزوله من عظمته ، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال : سألت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ « أسمع صلاصلاً ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض » تفرد به أحمد . وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال « أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليترعد عرقاً ، هذا لفظه . وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها ، وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها ، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل ، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معاً ، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين .

وقوله تعالى : ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلاً ﴾ قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : نشأ ، قام بالحشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير : الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ إذا قام من الليل وفي رواية عن مجاهد : بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر : والغرض أن ناشئة هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الأناة ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ هي أشد وطأ وأقوم قبلاً ﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ، لأنه وقت انتشار الناس ولغظ الأصوات وأوقات المعاش ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قبلاً ﴾ فقال له رجل : إنما تقرؤها وأقوم قبلاً ، فقال له : إن أصوب وأقوم وأهياً وأشبه هذا واحد .

ولهذا قال تعالى : ﴿ إن لك في النهار سبحةً طويلاً ﴾ قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم : الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري : فراغاً طويلاً . وقال قتادة : فراغاً وبغية ومتقلباً . وقال السدي ﴿ سبحةً طويلاً ﴾ تطوعاً كثيراً . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ إن لك في النهار سبحةً طويلاً ﴾ قال : لحوائجك فأفرغ لدينك الليل ، قال : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده فحففها ووضعها وقرأ ﴿ قم الليل إلا قليلاً ﴾ إلى آخر الآية ثم قال ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه - حتى يبلغ - فافرقوا ما تيسر منه ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وهذا الذي قاله كما قاله .

والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا يحيى ، حدثنا سعيد هو ابن أبي عروة عن قتادة عن زرارة بن أوفى ، عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة لبيع عقاراً له بها ، ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقي رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال « اليس لكم في أسوة حسنة ؟ » فنهاهم عن ذلك فأشدهم على رجعتها ، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أنبتك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، قال : أتت عائشة فسألها ثم أرجع إلي فأخبرني بردها عليك . قال : فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال : ما أنا بقاربها إني نهيته أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيها إلا مضياً ، فأقسمت عليه فجاء معي فدخلنا عليها فقالت : حكيم وعرفته قال : نعم . قالت : من هذا الذي معك ؟ قال : سعيد بن هشام . قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر . قال : فترجعت عليه وقالت : نعم المرء كان عامراً . قلت : يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألسن تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن ، فهمت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ ، قلت : يا أم المؤمنين أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ . قالت : ألسن تقرأ هذه السورة ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ؟ قلت : بلى . قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفتحت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهراً ، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة .

فهمت أن أقوم ثم بدا لي وتر رسول الله ﷺ فقلت : يا أم المؤمنين أنبئني عن وتر رسول الله ﷺ . قالت : كنا نعد له سواكه وظهره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم ، ثم يقوم ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليماً بسمعنا ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم ، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني ، فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يا بني ، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى من النهار اثني عشرة ركعة ، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان . فأتيت ابن عباس فحدثته بحدِيثها فقال : صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة ؛ هكذا رواه الإمام أحمد بتامه وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه .

[ طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى ] قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، وحدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ن قالاً جميعاً ، واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة ، حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل فتسمع الناس به فاجتمعوا فخرج كل غضب ، وكان بهم رحياً ، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يأم من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه » ونزل القرآن ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ﴾ نصفه أو انقص منه قليلاً ﴿ أو زد عليه ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يتغنون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل . ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الزبيدي وهو ضعيف ، والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك ، وإنما هي مكة وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب ، فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سهاك الحنفي ، سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به . وقال الثوري ومحمد بن بشر العدي ، كلاهما عن مسعر عن سهاك عن ابن عباس كان بينهما سنة ، وروى ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سهاك عن عكرمة عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ن عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿ فاقراءوا ما تيسر منه ﴾ قال : فاستراح الناس . وكذا قال الحسن البصري والسدي . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال : فقلت يعني لعائشة أخبرينا عن قيام

رسول الله ﷺ . قالت : ألتستقرأ ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحس آخرها في السماء ستة عشر شهراً ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة ﴿ قم الليل إلا قليلاً ﴾ قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم ، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال : لما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قال : مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك - إلى قوله تعالى - وأقيموا الصلاة ﴾ فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ قم الليل إلا قليلاً ﴾ نصفه أو انقص منه قليلاً ﴾ فسق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله تعالى - فارقوا ما تيسر منه ﴾ فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق ، وقوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ أي أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال ، قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي ﴿ وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ أي أخلص له العبادة ، وقال الحسن : اجتهد وأبتل إليه نفسك . وقال ابن جرير : يقال للعباد متبتل ، ومنه الحديث المروي : نهي عن التبتل يعني الانقطاع إلى العبادة وترك الزواج . وقوله تعالى : ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلاً ﴾ أي هو المالك المتصرف في المشرق والمغرب الذي لا إله هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل فاتخذة وكيلاً كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وكقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه .

وَصَبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٤﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلِكُمْ قَلِيلًا ﴿١٥﴾ إِنَّا لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٩﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿٢١﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ - كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه ، وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهدداً لكفار قومه ومتوعداً ، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء ﴿ وذرنى والمكذبين أولي النعمة ﴾ أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ﴿ ومهلهم قليلاً ﴾ أي رويداً كما قال تعالى : ﴿ تمتعهم قليلاً ثم نظطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ ، ولهذا قال ههنا ﴿ إن لدينا أنكالا ﴾ وهي القيود ، قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبي سلمان وقاتدة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد ﴿ وجحيماً ﴾ وهي السعير المضطربة ﴿ وطعاماً ذا غصة ﴾ قال ابن عباس : ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج ﴿ وعذاباً أليماً ﴾ يوم ترجف الأرض والجبال ﴿ أي تنزل ﴾ وكانت الجبال كثيلاً مهيلاً ﴿ أي تصير ككتبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفضفاً لا ترى فيها عوجاً أي وادياً ولا أمناً أي رابية ، ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ، ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم ﴾ أي بأعمالكم ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴿ قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة والسدي والثوري ﴾ أخذاً وبيلاً ﴿ أي شديداً أي فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى : ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم ، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ، ويروى عن ابن عباس ومجاهد .

وقوله تعالى : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ . يحتمل أن يكون يوماً معمولاً لتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به ؟ ويحتمل أن يكون معمولاً لكفرتم فعل الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ، وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ، وكلاهما معنى حسن ، ولكن الأول أولى والله أعلم . ومعنى قوله ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله ، وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال الطبراني : حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد . حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ قال « ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثاً إلى النار » قال من كم يارب ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد « فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم « إن بني آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جنة لكم » هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث . وقوله تعالى : ﴿ السهائم مفطر به ﴾ قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله ، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى : وروي عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوي لأنه لم يجر له ذكر ههنا ، وقوله تعالى : ﴿ كان وعده مفعولاً ﴾ أي كان وعد هذا اليوم مفعولاً أي واقعاً لا محالة وكائنا لا نحيد عنه .

إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢١﴾ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ بِعَلَمِٰنِكَ تَقُوْمُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَيُنْصِفُهُ وُثْلُهُمْ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَنَّابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى : ﴿ إن هذه ﴾ أي السورة ﴿ تذكرة ﴾ أي يتذكر بها أولو الألباب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ﴾ أي من شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة الأخرى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ أي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرتون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ، ولهذا قال ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ أي تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ أي الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿ فاقروا ما تيسر من القرآن ﴾ أي من غير تحديد بوقت أي ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال في سورة سبحان ﴿ ولا تمجهر بصلاتك ﴾ أي بقرائك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ وقد استدلل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهي قوله ﴿ فاقروا ما تيسر من القرآن ﴾ على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو غيرها من القرآن ولو بآية ، أجزاء واعتضدوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج غير تمام » وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تجزى صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » .

وقوله تعالى : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾ أي علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والتاجر ، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله ، وهذه

الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد ، فهي من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الإخبار بالمغيبيات المستقبلية ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فاقروا ما تيسر منه ﴾ أي قوموا بما تيسر عليكم منه . قال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علي عن أبي رجاء محمد ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به وإنما يصلي المكتوبة ، قال يتوسد القرآن لعن الله ذلك ، قال الله تعالى للعبد الصالح ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ﴾ ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا أبائكم ﴾ قلت : يا أبا سعيد ، قال الله تعالى : ﴿ فاقروا ما تيسر من القرآن ﴾ قال نعم ولو خمس آيات ، وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يرى حقاً واجباً على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل ، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح ، فقال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل : وفي السنن « أوتروا يا أهل القرآن » وفي الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر بن عبد العزيز من الخنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان ، فالله أعلم .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحدرد ، حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي ، حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس ، عن أبيه عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ﴿ فاقروا ما تيسر منه ﴾ قال : « مائة آية » وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى . وقوله تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أي أقيموا صلواتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال أن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف : إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل ، واختلفوا في المدة التي بينها على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل : « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال : هل علي غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع » .

وقوله تعالى : ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ يعني من الصدقات ، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره ، كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ وقوله تعالى ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الخارث بن سويد قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا : يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال « اعلموا ما تقولون » قالوا : ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال « إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما آخر » ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به ، ثم قال تعالى : ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره . آخر تفسير سورة الزمل ، والله الحمد والمنة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِرِينَ ۝١ قُرْآنًا ذِكْرًا ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَّرًا ۝٣ وَرَبِّكَ فَطَرًا ۝٤ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرًا ۝٥ وَلَا تَمَنَّاَنَّ تَسْتَكْبِرًا ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرًا ۝٧

فَإِذَا نَفَرُوا فِي النَّافِرَاتِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّيْذُومٌ غَيْرٌ غَيْرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ غَيْرٌ ۝١٠

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول : أول شيء نزل من القرآن ﴿ يا أيها المدثر ﴾ وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى . قال البخاري : حدثنا يحيى ، حدثنا وكيع عن علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال : ﴿ يا أيها المدثر ﴾ قلت : يقولون : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول